

أهمية حوض المتوسط في العلاقات المتوسطية وانبعث النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث.

أ/ مريم رزاق بعرة - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

الملخص :

تعرض هذه الدراسة موضوع هام جدا يتعلق بأهمية الحوض المتوسطي في العلاقات المتوسطية خلال العصر الحديث ، إذ يعرض العلاقات الدولية بين الضفتين أواخر القرن السادس عشر من حيث الأهمية الإستراتيجية والتاريخية و الإقتصادية والصراع الإسلامي المسيحي في البحر المتوسط أواخر القرن السادس عشر ، كما يتطرق إلى الأهمية الإستراتيجية للضفة الجنوبية للبحر المتوسط والجزائر ، وإلى بروز إيالة الجزائر العثمانية وانبعث النشاط البحري بها ، كونها إيالة تابعة للدولة العثمانية في الجزء الغربي من المتوسطي بسبب موقعها الهام وبسبب الوظيفة التي كانت تؤديها في إطار الدفاع عن المسلمين وعن الأراضي الإسلامية.

Résumé :

Cette étude présente un sujet très important de l'importance du bassin méditerranéen dans les relations méditerranéennes durant l'ère modern , il affiche les relations internationales entre les deux banques fin du XVIe siècle en termes d'importance stratégique et historique et économique et le conflit islamo-chrétien en Méditerranée et de l'Algérie , et de l'émergence de la régence Algérie ottoman et la récurgence de la l'activité maritime, étant de l'Empire ottoman dans la partie occidentale de la Méditerranée en raison de son lieu et en raison de sa

position importante qui était dans la défense des musulmans et le cadre de terres islamique.

مقدمة :

يعد البحر الأبيض المتوسط من البحار الداخلية إذ يربط بين ثلاث قارات من العالم، ويكتسب أهمية جغرافية واقتصادية وحضارية كبرى باعتباره مهد للعديد من الحضارات التي قامت على ضفافه و ساهمت في وجود علاقات بينها كانت نواة لوجود عدّة منافذ وطرق للسيطرة والهيمنة عن طريق أساطيلها.

واعتباراً من بداية القرن السادس عشر ميلادي ظهرت تغيرات كبرى على المستوى العالمي، وذلك باكتشاف العالم الجديد وتغير موازين القوى بين الشرق والغرب، ونشأ صراع كبير بين الدول البحرية إذ أن طبيعة المعركة التي ميزت ذلك العصر تجعل من القوة البحرية قوة عسكرية أساسية للسمود.

ويظهر الدور العثماني كقوة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وتشكيل حضور عثماني في الجزائر بداية من القرن السادس عشر ميلادي شكل انبعاثاً للنشاط الملاحي الإسلامي، إذ تمكنت هذه الأخيرة عن طريق إعلان تبعيتها للدولة العثمانية من توسيع نطاق حدودها السياسية إلى المجال البحري عن طريق أسطولها.

1- العلاقات الدولية بين الضفتين أواخر القرن السادس عشر:

لقد ارتبط مصير الإنسان بوجود الماء شأنه في ذلك شأن بقية المخلوقات، واختلفت طرق تعامل الإنسان مع مصادر المياه عن طريق تعامل بقية المخلوقات،

حيث بذل الإنسان مجهودات متواصلة من أجل إخضاع مصادر المياه والسيطرة عليها. (1)

وكثيرا ما نسمع أن الأنهار والبحار ظاهرة طبيعية للفصل بين إقليم وآخر، أو بين دولة ودولة وحتى بين قارة وقارة، ولكن الحقيقة الثابتة أنها (أي الأنهار والبحار) تُكوّن على العموم وسيلة فعالة من وسائل التواصل والتعارف والتواد (2). وبالرغم مما تبدوا عليه البحار من أداة فصل بين اليابسة، فلقد نجح الإنسان ومنذ أقدم العصور في جعلها أداة وصل لا فصل، وهي ليست حواجز إنما هي طرق صالحة لمن توجد لديهم وسائل الانتقال إليها وفيها. (3)

فقد تمكنت الجماعات البشرية بفضل تواجدها والتفافها حول المسطحات المائية من اكتشاف الدور الكبير للبحار كونها طريقا للاتصال بين الأمم والحضارات، ليس هذا فحسب بل لا بد منه للحرب وللتجارة ولإيقاع الضرر وتبادل المنافع. ومثل البحر المتوسط أهم بحار العالم كونه مركزا للالتقاء ومفترقا للطرق حال وجود أزمات.

1-1- الأهمية الإستراتيجية و التاريخية للبحر المتوسط :

اشتق اسم البحر المتوسط من كلمتين لاتينيتين هما : (Medius) أي المتوسط و (Terra) أي الأرض (4)، ويعتبر من أهم البحار في العالم، إذ يربط بين ثلاث قارات هي: إفريقيا، أوروبا وآسيا، ويكتسب أهمية لكونه منطقة حضارية ترعرعت على ضفافه حضارات راقية : أمازيغية، يونانية، فينيقية، رومانية، وعربية إسلامية. (5)

كما يمثل المتوسط حوضا يجمع عددا لا متناهيا من القوميات، واللغات، والثقافات المطلة على ضفتيه الجنوبية والشمالية (6)، إذ يشكل طريقا عالميا للتجارة والعبور الدوليين بين أجزاء العالم القديم في العصرين : القديم والوسيط، وبينها

وبين العالم الجديد في العصر الحديث، بحيث كان وما يزال حلقة الوصل بين أجزاء العالم المختلفة وشعوبه.⁽⁷⁾

يمثل المتوسط مسطحا مائيا مهما جغرافيا وحضاريا، فلا يضاهيه في ذلك أي بحر داخلي على الإطلاق ولا يرتبط ببحار العالم إلا بواسطة مضيق جبل طارق، كما يعتبر من البحار الأكثر حيوية في مجال حركة التنقل العالمي، فهو يربط بين الحركة القادمة من المحيطين الهادي والهندي شرقا نحو المحيط الأطلسي والعكس، ويتحكم المتوسط عبر مداخله في خطوط الملاحة البحرية الداخلية على الحوض عامة، سواءً تلك القادمة من العالم الجديد وإفريقيا الغربية والشرقية أو الشرق الأدنى والأوسط أو المتجهة نحو الشرق الأقصى عبر قناة السويس.⁽⁸⁾

يعتبر البحر الأبيض المتوسط أكثر بكثير من مجرد مسافة مائية، فقد شهد صعود الحضارات الإنسانية، فالحديث عن البحر مقرون دائما بالحضارة، والحضارة على مرّ العصور ترتبط ارتباطا وثيقا بصفاف الأنهار وشواطئ البحار والمحيطات⁽⁹⁾.

عرفت صفاف البحر المتوسط ظهور ثم انتشار عدد من الديانات الكبرى وبزوغ ثم انهيار حضارات عالمية متميزة، فالآشوريون والبابليون والفينيقيون والفرعنة والفرس واليونان والرومان والبيزنطيون والبرابرة والقوط والفرنجية واللومبارد خاضوا غماره، فكان هذا البحر في العصور الأولى الأهم بين البحار كلّها⁽¹⁰⁾، وهذا ما جعله في الأخير يحتزن عصارات عدّة تجارب حضارية وبشرية.⁽¹¹⁾

كما تميز البحر الأبيض المتوسط عبر تاريخه بالتنوع والتعددية في الأعراق والشعوب واللغات والثقافات وهذا ما جعل فرنان بروديل " Fernand Braudel" ينعت به العالم المتوسطي (Monde Méditerrané)⁽¹²⁾.

ويتمتع البحر المتوسط بموقع استراتيجي هام أهله أن يحتل أهمية تاريخية عبر

انفتاحه على ثلاث قارات، فقد قال عنه ابن خلدون: " والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه⁽¹³⁾ يعانون من أحواله ما لا تعانيه أمة من أمم البحار." ⁽¹⁴⁾ فنجد أن الإغريق بحكم موقعهم الجغرافي وطبيعة شواطئ بلدهم الجزرية، كانوا مؤهلين لركوب البحر من أجل كسب عيشهم بالوسائل المختلفة، وهذا ما أكده مونتيسكو بقوله: «...أن جميع الأعرقة الأولين من القرصنة ومن المحتمل أن منيوس الذي كانت له إمبراطورية البحر لم ينل غير الفوز في قطع الطرق...»⁽¹⁵⁾، كما مثل المتوسط مجال الصراع بين الإغريق والفينيقيين بسبب احتكار الفينيقيين للتجارة، واعتبر هذا الصراع بداية الصراع بين الشرق والغرب في المجال البحري. وبعد انهيار قرطاجة سنة 146 ق.م سيطر الرومان سيطرة كاملة على هذا البحر لعدة قرون.⁽¹⁶⁾

كما ركب المسلمون البحر المتوسط مع بداية فتح الشام ومصر وشمال إفريقيا وتصدي بنو الأغلِب⁽¹⁷⁾ مع بداية القرن التاسع الميلادي لغطسة الروم وتمكنوا من الانتصار عنهم، وقد وصف آرشيبياليد لويس انتصار العرب على الروم بقوله: «...وانقلب انتصار الإسكندر على دارا وانتصار روما على حنبعل وانتصار أورليان على الزباء ونبذ الشرق الحضارة الغربية التي فرضت عليه قصرا وأشاح بوجهه عنها وبدأ عصر الإسلام في دنيا البحر المتوسط...».⁽¹⁸⁾

ثم حلّ بالمسلمين عهد الضعف والفتور، وبدأ يشهد البحر المتوسط مع نهاية القرن العاشر الميلادي وحلول القرن الحادي عشر تزايد ملحوظا في النفوذ المسيحي على حساب الحضور الإسلامي عموما⁽¹⁹⁾، ومن ثمّ أصبح البحر المتوسط يشكل أحد أهم حلقات التاريخ القديم والحديث، كما ارتبط تاريخه بتاريخ بقية البحار، إذ يورد بروديل "Braudel" في هذا الصدد: «...لا يمكن معرفة تاريخ العالم والبحار الداخلية، دون معرفة تاريخ البحر المتوسط...».⁽²⁰⁾

1-2 - الأهمية الاقتصادية :

اكتسب البحر الأبيض المتوسط أهمية كونه منطقة حضارية، وكونه أيضا طريقا عالمية للتجارة والعبور الدوليين بين أجزاء العالم في العصر القديم والوسيط وفي العصر الحديث والمعاصر، وما زاد من أهمية هذه المنطقة هو وفرة الموانئ والمرافق والمخابئ المنتشرة على طول سواحلها إذ شكلت هذه الأخيرة مركزا هاما للتجارة والتبادل الاقتصادي.⁽²¹⁾

لم تتأثر الحركة التجارية في البحر المتوسط بانتقال الحكم من دولة إلى دولة، بقدر ما تفرضه الدولة الأقوى من نظم وقوانين تجارية ومدى تحكمها في هذه الحركة، وما توفره لها من مناخ وحمية، ويورد فرنان بروديل "F. Braudel" في هذا الصدد: « المتحكم في البحر دوما هو المتحكم في الثروة. »⁽²²⁾

ويذكر بروديل أيضا في كتابه البحر المتوسط والعالم المتوسطي: «... لعب الاقتصاد دورا حاسما في تاريخ البحر المتوسط في أغلب الأحيان وفي الثروات التي يأتي بها كمسطح للنقل، فسيد هذه الثروات من سيطر على البحر، فلم يكن هذا البحر بسعته يقبل بسيد واحد في آن واحد، وليس من الضروري أن يكون هذا السيد سياسيا كروما كما يظهر لنا للوهلة الأولى، وإنما السيد المبادلات، التفاوت، وفروق المستويات في الحياة التجارية.»⁽²³⁾

زادت حركة الفتح الإسلامي التي امتدت من المحيط الهندي إلى الأطلسي من الانفتاح الاقتصادي، إذ أرجعت الدورة التجارية العالمية أعظم مدن البحر المتوسط من حديثة كالقبرون وفاس وأخرى بعثت فيها الحياة كاشبيلية، وقرطبة، وبالبرمو وهذا واضح في إشارات الرحالة العرب⁽²⁴⁾. لذلك فإن الأهمية الاقتصادية للبحر المتوسط كانت تتمثل في العلاقات التجارية التي لم تنقطع عبر العصور التاريخية، إذ بلغت درجات التطور في القرنين السادس والثامن الهجري الثاني

عشر والرابع عشر ميلادي وأصبحت أكثر تعقيدا مع القرن الخامس عشر والسادس عشر ميلادي، كونها أصبحت مرتبطة بمعاهدات واتفاقيات تجارية.

1-3 - الصراع الإسلامي المسيحي في البحر المتوسط أواخر

القرن السادس عشر:

كان للحضور العثماني في غرب المتوسط أثر كبير على سير الأحداث التي كانت تشهدها منطقة الغرب الإسلامي خلال القرن 10هـ-16م، إذ أن العثمانيين من خلال تحركاتهم في غرب البحر وتدخلاتهم في منطقة المغرب، وذلك عن طريق تثبيت الوجود العثماني في المتوسط عبر محطات رئيسية مثلتها جزيرة جربة ومالطة وتونس ورودس⁽²⁵⁾، جاءت للرد على الزحف المسيحي الذي تزايد بعد الاتفاق الإسباني البرتغالي المعروف بـ "تورديزيلاس" في جوان 1494م⁽²⁶⁾، وقد ساهموا دون شك في إعطاء نفس لحركة المقاومة التي انطلقت للرد على الهجمات المسيحية التي كانت تستهدف منطقة المغرب خلال هذه الفترة⁽²⁷⁾.

ويندرج هذا الصدام في البحر المتوسط في إطار الصراع الحضاري بين الإسلام والمسيحية، فهو مجرد حلقة ضمن سلسلة طويلة عرفت تاريخيا بـ "الحروب الصليبية"⁽²⁸⁾، وأنتجت تجاذبات قوية إن على المستويين العسكري أو السياسي أو حتى المستوى الاقتصادي، وأدت في الأخير إلى تغيير واضح مَس الخريطة السياسية على سواحل البحر المتوسط وفي غرب أوروبا وجنوبها الشرقي⁽²⁹⁾، فقد كانت هناك مجموعة من المحفزات الرئيسية التي أدت إلى احتدام هذا الصراع، منها دور الكنيسة و باباواتها في دعم البحارة الأوروبيين والسياسة الأوروبية العدوانية خاصة دور البابا بيوس الخامس "Pius 5" الذي رأى في هذا الصراع حربا صليبية جديدة، ولم تعتبر المسيحية يومئذ دينا فقط ولكنها تجمع جوانب

مختلفة، فهي اللغة اللاتينية، والتراث الإغريقي الروماني، وأوروبا التي تسكنها العناصر البيضاء، وهي بالتالي تمثل الوجه الشمالي لهذا الصراع.⁽³⁰⁾

إن الصراع الذي كانت منطقة الغرب الإسلامي مسرحاً له طيلة القرنين 15 و16م يعود في الأصل إلى فترة حروب الاسترداد التي قادتها الدولة المسيحية ضد الإسلام والمسلمين في الأندلس من أجل استرجاع الأراضي المسيحية من يد المسلمين وكانت الأمم المسيحية تعتبر تحركها ضد المسلمين ردّاً على احتلالهم للأندلس الذي استمر ما يقرب من 800 سنة.⁽³¹⁾

لقد نتج عن سقوط غرناطة سنة 1492م انتهاج إسبانيا المسيحية سياسة جديدة تجاه مسلمي الأندلس إذ تهدف هذه السياسة إلى القضاء تدريجياً، وبصورة جذرية على كل مظاهر الإسلام، ذلك أن نخوة النصر التي اجتاحت إسبانيا قد ألهمت العواطف وطغت على منطق العقل، وأصبحت إسبانيا تؤمن بأن عليها واجب تطهير أرضها من المسلمين والإسلام، والتي أصبحت تخشى منه ومن شبحه.⁽³²⁾

إن الأحداث التي تم عرضها كان وراءها دافع قوي، وهو زواج فرديناند ملك الأرغون وإيزابيلا ملكة قشتالة، وذلك سنة 1469م/874هـ، حيث سمح هذا الزواج من توحد المملكتين في الأهداف والمسعى، فقد توسعت داخل المحيط الإسباني، وذلك بالقضاء على مملكة غرناطة الإسلامية، وخارجه في البحر الأبيض المتوسط ببسط نفوذها في ممراته.⁽³³⁾

عملت إسبانيا على القيام بإجراءات تعسفية ضد مسلمي الأندلس، وذلك بغية تصفية وجودهم من شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث فرضت عليهم أقسى الإجراءات وتنصيرهم بالجملة خلال عشر سنين، وقد خيرت الأقلية الإسلامية الإسبانية بين التنصير أو الرّق مدى الحياة، وذلك لما عرفته هذه الأقلية من تتبع

وملاحقة عن طريق ديوان التحقيق⁽³⁴⁾، كما صودرت أملاكهم وحرّم عليهم التكلم باللغة العربية، وارتداء الألبسة الوطنية والتّردد إلى الحمامات، وفتح أبواب منازلهم أيام الحفلات الجمعة والسبت، وإقامة الشعائر الدينية وعدم التسمية بأسماء عربية كما حولت جميع المساجد إلى كنائس ومنع المسلمون من حمل السلاح، وفرض عليهم العيش في أحياء خاصة وارتداء ألبسة معينة... إلخ، وإذا لوحظ عليهم بعض الولاء إلى ماضيهم أو التعلق بدينهم فستلظ عليهم أقصى أنواع العقوبات.⁽³⁵⁾

فرض على المسلمين في الأندلس، إمّا التنصير أو الجلاء أو الموت، وفور دخول القرار حيز التنفيذ أصبح الذين اعتنقوا الديانة المسيحية طواعية أو كرها، ظاهرياً أو باطنياً، يعرفون في كتب التاريخ باسم "المورسيكين" (Moriscos)⁽³⁶⁾، وهي تسمية جاءت كزّد على تلك التسمية القديمة التي أصبحت من طرف المسلمين على الّذميين أو المسلمين الذين ظلّوا على دينهم فكانوا يعرفون باسم "المستعربين" (Mozarabes).⁽³⁷⁾

استوطن عدد كبير من مهاجري الأندلس المدن الساحلية الجزائرية مثل : تنس، بجاية، الجزائر ووهران ومدن داخلية مثل : المسيلة، تلمسان⁽³⁸⁾، كما قاموا بإنشاء مدن جديدة ذات طابع أندلسي مثل مدينة بجاية وطبعوا بعض المدن بالصبغة الأندلسية مثل : البليدة، الجزائر، دلس، المدينة، قسنطينة، تلمسان وغيرها.⁽³⁹⁾

إنّ التوسع العثماني في غرب المتوسط يندرج ضمن حركة تاريخية تهدف إلى إيجاد نوع من التوازن في إطار التحرك المسيحي الجديد (سواء في الجانب الديني أي حروب الاسترداد أو في الجانب التجاري عبر ولوج أوربا عالم الاكتشافات الجغرافية) الذي يرمي إلى أخذ المسلمين من الخلف والسيطرة على

بلادهم، وإضعاف اقتصادهم بإيجاد طرق بديلة عن البحر المتوسط والبحر الأحمر⁽⁴⁰⁾ وحتمت هذه المتغيرات على الدولة العثمانية إلى تحويل طابع قوتها العسكرية من بري إلى بحري، فقد عمل خيرالدين بربروس على تقوية الأسطول البحري العثماني وذلك بعد تعيينه بيلاربايا على الجزائر عن طريق الرسالة التي بعث بها أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول في أوائل ذي القعدة 925هـ/مايين 26 أكتوبر و03 نوفمبر 1519 م.⁽⁴¹⁾

كما عرف الأسطول العثماني كثرة التحالفات المعادية له، فأصبح يتحرك شرقا وغربا لنجدة مسلمي الأندلس وصدّ الزحف المسيحي المتنامي، حيث تمكن البحارة الجزائريين من شن 33 غارة بحرية ناجحة على السواحل الإسبانية بين 1528-1584م ونقل عدد كبير من مسلمي الأندلس المهتدين بالموت.⁽⁴²⁾

اعتبر الدفاع عن الإسلام والنزود عنه الدافع الأول والمحرك الأساس للعثمانيين في غرب المتوسط، إذ لم يكن من السهل على أي طرف إدارة الصراع الإسلامي المسيحي على مستوى حوض البحر المتوسط، خصوصا وقد تداخلت المعطيات وتشابكت حيثياتها فالجانب العقدي قد أثر بشكل هام على وجود علاقات دولية مبنية على المصالح وكانت التحالفات إطارا عاما لها.

2- الأهمية الإستراتيجية للصفة الجنوبية للبحر المتوسط والجزائر:

شهدت منطقة الشمال الإفريقي قيام دول كبرى في فترة العصور الوسطى مثل المرابطين والموحدين⁽⁴³⁾، عبرت في مجملها عن وجود كيانات مستقلة في المغرب الإسلامي كانت تشمل 03 أو 04 أقطار سياسية منفصلة، إذ يطلق المؤرخون على هذه الكيانات بالمغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى أو إفريقية.

وكنتيحة حتمية لهذا التفكك الذي ساد منطقة المغرب الإسلامي، ولافتقاره إلى سلطة قوية تفرض نفوذها وهيبتها، بعدما صار التطاحن و الفرقة والنوضى، سمة وصورة يتصف بها هذا المجال الجغرافي الواسع، بالرغم من وحدة اللغة والعرف والدين⁽⁴⁴⁾، ظهرت كيانات مستقلة كل واحدة تحاول فرض سيطرتها على حساب جارئاتها، مما سبب أحداثا سياسية متأزمة وأحداثا داخلية غاية في التداخل والتشعب خصوصا مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي، العاشر هجري.

إذ وبعد انهيار دولة الموحدين انقسمت بلاد المغرب إلى 03 دول:

1- بنو حفص في الجزء الشرقي يحكمون البلاد التونسية وطرابلس، وفرع منهم يحكم شرق البلاد الجزائرية (بجاية وقسنطينة و الزاب).

2- المغرب الأقصى، والذي كان تحت حكم بني مرين الوطاسيين.

3 - أما الجزء المتبقي وهو المغرب الأوسط فيحكمه بنو زيان⁽⁴⁵⁾. إن حكم دولة بني زيان التي تأسست سنة 1235م علي يد يغمراسن بن زيان⁽⁴⁶⁾ (1235-1283م) والتي اتخذت تلمسان عاصمة لها⁽⁴⁷⁾ كان نظريا، أما عمليا فكانوا يحكمون تلمسان و ضواحيها وساحل البحر إلى مقربة من مدينة الجزائر⁽⁴⁸⁾. وبنو عبد الوادي أو عابد الوادي⁽⁴⁹⁾ الزيانيين استقروا في منطقة تلمسان ونجحوا في الدفاع عن أنفسهم إثر الاضطرابات المدمرة والغارات التي شنها بنو غانية واستفادت المنطقة من خراب جيرانها⁽⁵⁰⁾. ويعبر ابن خلدون عن ذلك بقوله: « فأصبحت قاعدة المغرب الأوسط وأم هؤلاء الأحياء من زناتة المغرب...»⁽⁵¹⁾، إذ هي مركز تجاري هام لتبادل البضائع الإفريقية وبضائع البحر الأبيض المتوسط⁽⁵²⁾ بحكم موقعها الإستراتيجي، كل هذا جعلها معرضة للخطر، بالإضافة إلى أنها كانت محصورة بين الحفصيين والمرينيين⁽⁵³⁾، فكانت رغبة المرينيين

في التوسع على حساب الزيانيين، وتمثل طموح الحفصيين في إيجاد مناطق نفوذ على حساب الزيانيين أيضا، وهذا ما أحدث صراعات دائمة بين الطرفين وتوسع كل منها على حساب الآخر.⁽⁵⁴⁾

وبغية الزيانيين في كسر الحصار الواقع عليهم من الشرق والغرب، ساعدوا كثيرا الطامعين في العرش من المرينيين، لذلك قام هؤلاء بغزو تلمسان عدّة مرات فاحتلوها سنة 1337م إلى سنة 1352م، واستطاع الزيانيون إنقاذها، لكن تكرّر ذلك الأمر مرة أخرى سنة 1352م إلى غاية 1358م، بحيث أعيد إحيائها من طرف أبو حمو موسى بن يوسف (1359-1389م) ليعود المرينيون لاحتلالها مرة أخرى عام 1392م.⁽⁵⁵⁾

ومن جهة أخرى نجد العلاقات الزيانية الحفصية لم تكن أحسن حالا من العلاقات الزيانية المرينية، إذ في عهد ابن تاشفين الأول (1318-1337م) تمكن الزيانيون من بسط نفوذهم على المغرب الأوسط كله واحتلوا تونس فاستنجد بنو حفص بالمرينيين فأجابه أبو حفص المريني إلى ذلك، وحاصرت القوات الحفصية المرينية المتحالفة تلمسان سنة 1334م، وفي عهد أبي حمو الثاني (1359-1389م) امتد سلطان الزيانيين إلى بجاية، وانهمزوا بها سنة 1366م.⁽⁵⁶⁾

أما في عهد السلطان الحفصي أبي فارس (1394-1434م) وعثمان (1335-1338م) فقد تمكن الحفصيون من الانتصار على الزيانيين، ونصب سلطان حفصي على العرش الزياني.⁽⁵⁷⁾

وبسبب موقعها الإستراتيجي بقيت الدولة الزيانية في صراع مستمر من الجهتين الشرقية بقيادة الحفصيين والغربية بقيادة المرينيين، ما جعلها في حالة عدم الاستقرار مما أدى في الأخير إلى ضعفها ومن ثم انحلالها.

إن حكم بنو زيان للمغرب الأوسط كان نظريا، وإنما يحكمون عمليا إلا تلمسان وضواحيها وساحل البحر إلى مقربة من مدينة الجزائر - كما تم الإشارة إلى ذلك سابقا-، إذ كانت البلاد مجزأة إلى وحدات سياسية صغيرة متنافرة لا يسودها الوئام، فأغلب المدن الساحلية كوهراون وتنس وشرشال والجزائر ودلس وبجاية و جيجل و القل وغيرها كانت إما تحت حكم أمير زياتي منشق عن الدولة الزيانية كأبي يحيى بن محمد الزياتي في تنس، أو عن الدولة الحفصية كعبد الرحمن الحفصي في بجاية. وكانت خاضعة لسلطة مجلس منتخب من سكان المدينة كوهراون التي ذكر الوزان عن علاقتها بالدولة الزيانية : « وكان الوهراونيون أعداء الملك تلمسان »⁽⁵⁸⁾، أو شيخ قبيلة كسالم التومي شيخ قبيلة الثعالبة في مدينة الجزائر.⁽⁵⁹⁾

أما بقية البلاد الوسطى والجنوبية فكانت مقر إمارات قبلية عديدة⁽⁶⁰⁾، إذ كانت كل المناطق الجبلية في الفترة نفسها مستقلة، وتأسست في بعضها إمارات ذات أصل مرابطي أو شريفني من أهمها : إمارة بني العباس في جبال القبائل جنوب بجاية، و إمارة كوكو الواقعة في الغرب من الإمارة الأولى، كما استقلت المدن الداخلية عن حكم الإماراتين، فنجد أسرة بني جلاب⁽⁶¹⁾ التي حكمت توقرت ونواحيها وكونت إمارة أو مشيخة في وادي ريغ وعاصمتها توقرت⁽⁶²⁾، وأسرة علاهم في وارجلان جنوبي الجزائر وغيرها.

عرض الموقع الإستراتيجي الذي تحتله الدولة الزيانية لحالة الحرب المستمرة مع الدول المجاورة ومع القوى الداخلية، وهذا ما منعها من البروز كقوة دولية في المنطقة، إذ لم تكن لها قوة كبرى في مجال الجهاد البحري وفي مياه البحر المتوسط، و عرف تراجع كبير للنشاط البحري الجزائري خلال العصر الوسيط خاصة في العهد الأول من القرن 10هـ/ 16م، وهذا ما ساهم في زيادة

التحريشات الأوروبية على السواحل الجزائرية، خاصة الإسبانية منها، وذلك على طول سواحل المغرب فاستولت على أهم الموانئ⁽⁶³⁾، فاحتلت المرسى الكبير ووهران وبجاية، وباقي الموانئ كدلس والجزائر وأصبح لها سلطة واسعة على سواحل الجزائر، مما اضطر الدولة الزيانية إلى إمضاء معاهدة⁽⁶⁴⁾ مع الإسبان سنة 1512م⁽⁶⁵⁾، اعترفت فيها بسلطة إسبانيا على سواحل الجزائر، مما يدل على ضعف كبير في قوة الكيانات السياسية في شمال إفريقيا عموما وفي الجزائر خصوصا.⁽⁶⁶⁾

وإذا أردنا أن نلخص الوضع السياسي العام في المغرب الأوسط خلال القرن الخامس عشر ميلادي فيمكن القول إن البلاد انقسمت إلى مجموعة من الإمارات والمشيخات والقبائل المستقلة فهناك : مشيخة الجزائر التي تنصدها قبيلة الثعالبة وإمارة "كوكو" التي تشمل القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى. أما القسم الشرقي من بلاد القبائل وعاصمته قلعة بني عباس فقد كان تابعا للأمير عبد العزيز الحفصي، ومن ثمة فإن حكم ملوك بني زيان قد اقتصر على تلمسان وضواحيها⁽⁶⁷⁾، وقد لخص المؤرخ شارل أندري جوليان الوضع في المغرب عامة بقوله : « إن بلاد المغرب أصبحت عبارة عن فسيفساء سياسية. »⁽⁶⁸⁾

3/ بروز إيالة الجزائر العثمانية وانبعث النشاط البحري بها:

وجه العثمانيون أنظارهم إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد عجزهم عن دحر القوة البرتغالية في الخليج والهند واليمن، إذ وجهوا جيش مشاتهم وأسطول خوصهم أمثال كمال باشا والإخوة بروسا لتوجيه غاراتهم ضد الموانئ الإسبانية لمساعدة المسلمين من جهة ولشغل قوات إسبانيا عن الانطلاق نحو المغرب العربي أو شرقي البحر المتوسط (أي المحافظة على واقع حدود العالمين والحضارتين كما عبر عنهما أحد الباحثين المحدثين)

وقد كان لهذه الإستراتيجية نتائج هامة تجلت ثمرتها التاريخية في ظهور الجزائر بالذات كقاعدة أمامية للدولة العثمانية المركزية تتمتع بكيان خاص وبإمكانيات إدارية وسياسية وعسكرية لم تتمتع بها جاراتها تونس أو طرابلس ولا الولايات العثمانية الأخرى في المشرق والبلقان⁽⁶⁹⁾.

فلقد كان اسم الجزائر قبل القرن السادس عشر⁽⁷⁰⁾ هو المغرب الأوسط، وكانت مدينة الجزائر عندئذ عبارة عن مرسى صغير لا يكاد يلفت النظر، وكانت حدود الجزائر غير دقيقة، إلى أن قامت فيها قاعدة لدولة جديدة على يد الأخوة بربروسا ولا سيما خير الدين، وارتبط مصير هذه الدولة بالدولة العثمانية وتعاون أهل البلاد مع القادة الجدد، فاعترفوا بالسلطان العثماني حاميا لهم وخطبوا باسمه على المنابر واعترف هو بالسلطة المحلية الناشئة، وتعاون الجميع على بناء الدولة وطرد الحاميات الإسبانية التي انتصبت أثناء حالة الضعف أمام مدينة الجزائر (البيون)⁽⁷¹⁾ وفي بجاية ووهران وغيرها وبذلك انتهت دولة بني زيان في تلمسان (في الغرب) وسلطة بني حفص في كل من بجاية وقسنطينة وعنابة (في الشرق) لعجز الجميع عن مواجهة الخطر الخارجي، وهكذا توحدت الجزائر تحت راية الدولة العثمانية منذ (1518م)⁽⁷²⁾ وأصبح لها حدود معروفة وجيش بري وأسطول بحري وعاصمة وإدارة وعملة نقدية ومكانة مرهوبة على المستوى الدولي.

(73)

ويذكر ابن المفتي في تقييداته حول إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية ما يلي: « وأعلم السلطان المنصور بايزيد خان بن السلطان محمد خان بهذه الوقائع سنة 925هـ/1519م فبعث للجزائر إسحاق باشا مع بعض الجنود ثم لحق آخرون وآخرون إلى أن صارت نوبة⁽⁷⁴⁾ الجزائر بأهمية بالغة. " (75)

إن اعتبار إقليم الجزائر بمثابة أول إقليم في شمالي إفريقيا يقع تحت السيادة العثمانية، إذ تمكن خير الدين بروسا من تثبيت سيطرته على كامل الجزائر وغدا الحارس الأمامي للدولة العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.⁽⁷⁶⁾ أمّا من الناحية الجغرافية، فقد تميز موقع الجزائر بإطلاله على البحر الأبيض المتوسط مما دفع بالمدينة لأن تسهم بدور كبير في الحروب الصليبية بغرب البلاد الإسلامية يكاد يكون شبيها بدور القدس في المشرق، وقد سميت لذلك بدار الجهاد في الكثير من الوثائق نظرا لكونها نغرا من نغور دار الإسلام، خاصة بعد ضياع الأندلس كما كان لطبيعة موقعها المنحصر في هضبة متوسطة الارتفاع وإطلاله على البحر أثره في الاهتمام بوسائل الدفاع العسكري والتحصين .

ومن نتائج هذا الموقع على عمران المدينة أن نشأت البيوت ذات صحون صغيرة وهيئة متدرجة تطل كلّها على البحر بواسطة سطوحها البيضاء البلورية.⁽⁷⁷⁾

كما كانت الإيالة الأكبر والأقوى في المنطقة، لذلك كانت تلقب بجزائر المغازي والمجاهدة والمحروسة. وكانت في موقع يؤهلها لدور رئيسي في البحر الأبيض، فهي تقع بين جبل طارق وميورقة وبين مضيق صقلية وبوابات المحيط الأطلسي.⁽⁷⁸⁾

وإذا رجعنا لخريطة مدينة الجزائر ترجع إلى فاتح القرن السادس عشر، فسنلاحظ أنّها كانت عبارة عن مدينة صغيرة على شكل مثلث قاعدته البحر ورأسه القصبية وتحيط به الأسوار الحصينة من الجهات الأربعة، وتعلو الأسوار مجموعة من الأبراج العالية والمنيعة.

ويعود اهتمام الجزائريين بالأسطول الحربي إلى تلك التطورات التي طرأت على ساحة البحر المتوسط، ابتداء من أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن

السادس عشر، إذ كان الجزائريون يدركون جيدا أن تحرير سواحل إفريقيا من السيطرة الإسبانية والبرتغالية، وحماية أنفسهم من الاعتداءات الأوروبية الصليبية، يحتم عليهم إعداد أسطول قوي يواجهون به الموقف الخطير، ولهذا الاعتبارات كلها أولى الجزائريون من البداية اهتماما خاصا للقوة البحرية،⁽⁷⁹⁾ فقد شكل الحضور العثماني في الجزائر في مطلع القرن 16م، انبعاثا للنشاط الملاحي الإسلامي في الحوض الغربي المتوسطي بقوة وفاعلية مشهودتين، تمكن بهما من توسيع نطاق حدوده السياسية إلى المجال البحري، وعرقل بالتالي النفوذ السياسي والاقتصادي الأوروبي جراء ما واكب هذا الحضور من تأسيس للجهد البحري، أو القرصنة المشروعة حسب مفهوم تلك الفترة.⁽⁸⁰⁾

فإشراف سواحل الجزائر على البحر المتوسط كان عاملا مهما في التأثير على العلاقات الجزائرية الأوروبية خصوصا بعد إعلان تبعية الجزائر للدولة العثمانية وتبنيها لمشروع الدفاع عن أراضي المسلمين وذلك بعد توحيدها في شكل سلطة واحدة ونبذ الفرقة والتشتت التي كانت تطبع منطقة المغرب الإسلامي، إذ استوجبت هذه المهمة عملية إعادة بعث للقوة البحرية في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس عشر ميلادي.

التهميش :

(1) - محمود السيد الدغيم : أعضاء على تاريخ البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليمان الثاني، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1994، ص10.

(2) - عبد الهادي التازي : محطات مضيئة من تاريخ البحر المتوسط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (سلسلة الدورات)، الرباط 1995 ص83.

(3) - لويس آرشيبياليدر : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100)، تر/أحمد محمد عيسى مرا و تق/محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، [د.س.ن.]، ص14.

- (4) - محمد رفعت : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف، القاهرة، 1959، ص19.
- (5) - يحي بوعزيز : علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص9.
- (6) - محمد إبراهيم حسن : دراسة في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1999، ص ص28-50.
- (7) - يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص9.
- (8) - رجاء العودي عدوني : " الجهاد البحري المشترك بين إفريقية والمغرب الأقصى بين القرن الثالث عشر والسادس عشر ميلادي"، مجلة اللجنة المغربية للتاريخ البحري، المغرب، ماي-جوان 1997، ص109.
- (9) - مصطفى داودي : " دور البحرية الجزائرية في القضايا الإنسانية الخارجية بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين"، أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحرية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، [د.س.ن]، ص 269
- (10) - اللجنة المغاربية للتاريخ الإسلامي : "الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي"، ندوة دولية، المغرب، ماي-جوان 1997، ص22.
- (11) - عبد الجليل التميمي: العثمانيون والبحر الأبيض المتوسط : الإشكاليات والمقاربات الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2003، ص20.
- (12) - Braudel (Fernand) , **La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe 02**, ed5, V01, Colin, Paris, 1966.
- (13) -عدوتيه ويقصد بها ابن خلدون عدوته الجنوبية (كما فسرها هو بنفسه)، بلاد البربر كلهم من سبته إلى الإسكندرية إلى الشام، وعدوتيه الشمالية بلاد الأندلس و إفريقيا والصقالبة والروم إلى بلاد الشام أيضا.
- (14) - عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، لبنان، 2004، ص243.
- (15) - مونتسكيو : روح الشرائع، تر/ عادل زعيتر، اللجنة الدولية لترجمة الروائع العالمية (الأونسكو) دار المعارف المصرية، القاهرة، 1953 ص ص28-30.
- (16) - إبراهيم سعيود : الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر02، 02/2009/2010م، ص97.

- (17) – بنو الأغلِب وبنسبون إلى دولة الأغالبة (800-909م)، وهي دولة تأسست بالمغرب أيام بني العباس وعاصمتها القيروان. ينظر: إبراهيم سعيود: المرجع السابق، ص99.
- (18) – لويس آرشيبياليد.ر: المرجع السابق، ص78.
- (19) – إبراهيم سعيود : المرجع السابق، ص99، و ابن خلدون: المرجع السابق، ص201.
- (20) – Braudel (Fernand), op.cit , Tom2 , p24-60.
- (21) – Hervé (Coutau Bégarie), **L'émergence d'une pensée naval en Europe au XVI siècle et au début du XVII siècle**, le mer, Paris , 2000 , p205
- (22) –بروديل فرنان: **البحر المتوسط المجال والتاريخ**، تر/ عمر بن سالم، منشورات وزارة الثقافة، تونس، 1990، ص125.
- (23) – Braudel (Fernand) , op.cit , p133.
- (24) – علاوة عمارة : **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008 ص ص137-140.
- (25) – رودس (Rhodes) : وهي جزيرة يونانية اتخذها فرسان القديس يوحنا مقرا لهم منذ 1309م، بعد أن تحولوا من رهبان إلى عسكريين عقب الحروب الصليبية، وقد حاول العثمانيون فتح الجزيرة عدّة مرات لكنهم لم يتمكنوا من ذلك - -إلا عام 1522م، فانتشر فرسان يوحنا في سواحل البحر المتوسط قبل أن يتخذوا من مالطة مقرا لهم بعد أن أعطاهم إياها شالكان عام 1530م. ينظر كمال بن صحراوي : " **الصراع الإسلامي المسيحي ومؤثراته في البحر المتوسط خلال ق 16م** "، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد20-21، فبراير 2014، وهران.
- (26) – للتعرف أكثر على الاتفاق الإسباني البرتغالي خلال فترة الصراع الإسلامي المسيحي ينظر: صالح حيمر: **التحالف الأوروبي ضد الجزائر 1541م وتأثيراته الإقليمية والدولية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة، 2006/2007.
- (27) – زهراء النظام : **العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2003 ص57.
- (28) – وقد أضفى الكثير من المؤرخين صبغة الصليبية على تلك الحروب، فالمؤرخ الفرنسي بروديل ينعتها " **بالصليبية الإسبانية في إفريقيا**"، ينظر: Braudel (Fernand), " **Les espagnols et l'Afrique du nord de 1492-1577**", R.Af , V 69, 1928 p186.

- (29) - كمال بن صحراوي : المرجع السابق، ص ص573-574.
- (30) - أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص187.
- (31) - De Mas Latrie(M.L) , **Traité de paix et de commerce et document Divers concernant Les Relations Des chrétiens avec Les arabes De l'Afrique septentrionale au moyenne âge recueillis par ordre De L'empereur et publiés avec une introduction historique** , Henri Palon, Paris, 1866, p341.
- (32) - عبد الجليل التميمي: "رسالة مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 3، جانفي 1975، ص37.
- (33) - حنفي هلايلي: أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي المورسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص115.
- (34) - عبد الجليل التميمي: رسالة مسلمي غرناطة ...، ص 37.
- (35) - محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1966، ص ص353 - 354.
- (36) - لقد درج المؤرخون على استعمال مصطلح المورسكي "Moriscos" كدلالة تاريخية لنتع مسلمي الأندلس أو العرب المنتصرين بعد سقوط غرناطة 1492م، الذين فرض عليهم التنصير القسري ما بين 1499-1526، وبقي أحفادهم حتى عمليات الطرد النهائي ما بين 1603-1614م. أما الأستاذ عبد الله حمادي فقد أورد بأن لفظ مورسكي هو من أصل لاتيني إغريقي، وهذا حسب رأي المؤرخ الروماني سالوستيو " Sollustius "، إذ أن هذه التسمية تطلق على مجموعة بشرية ذات البشرة السمراء، أما الأصل الإغريقي للتسمية فهو من أموروس " Amaurus "، ويعني داكن البشرة، ومن هناك يشتق للصفة مورو "Moro"، ويعني شديد السمرة، وقد تمدد هذا المفهوم ليتحول في العصور الوسطى إلى معنى الإنسان المسيحي، ومن هذه الاشتقاقات انحدرت تسمية مورسكي والتي تعني غير النصراني والموجهة خصيصا لتعيين أقلية المسلمين، ينظر، حنفي هلايلي: المرجع السابق، ص4. وعبد الله حمادي: الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492-1616م، دار الألفية، الجزائر، 2011 ص52.

– كما نتج عن هذه التسمية علم يسمى بـ "علم الموريسكولوجي" وهو من أهم العلوم التي تحظى بأهمية بالغة من قبل الباحثين. ينظر، نشرة أنباء بيبليوغرافية حول المدجنين والموريسكيين والنصوص الإلخميادية وفقه اللغة العربية والرومانية، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 63-64، جويلية 1991، ص 421.

(37) – عبد الله حمادي : المرجع السابق، ص ص 51-52.

(38) – أحمد أبو العباس الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، تح/ راجح بونار ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 287.

(39) – محمد دراج : الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروسا (1512-1543)، تصدير/ ناصر الدين سعيدوني، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 67.

(40) – كمال بن صحراوي : المرجع السابق، ص 575.

(41) – عبد الجليل التميمي : "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 6 تونس، 1979، ص ص 116-120.

(42) – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي : الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 44.

(43) – صلاح العقاد : المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر 1993، ص 9.

(44) – Pierre (Boyer), "Contribution à l'étude politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger", in R.O.M.M, N°1, 1966, p 12.

(45) – أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 83.

(46) – وهو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي (608-681هـ/1206م)، أمير المسلمين أبو يحيى أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبد الواد، بويع يوم مقتل أخيه زيدان بن زيان سنة 633هـ، وكان شجاعا فاضلا حللما متواضعا، يكثر من مجالسة العلماء والصالحين . وصاهر بني حفص أصحاب تونس فزوج ابنه "عثمان" بابنة إبراهيم ابن عبد الواحد الحفصي، ومدة إمارته 44 سنة وخمسة أشهر و12 يوما. وكان أسلافه يقولون بأنهم من الأشراف، فسئل عن رأيه في صحة هذا النسب فقال : « إن كان المراد شرف الدنيا فهو ما نحن فيه، وإن كان القصد شرف الأخرى فهو عند الله.»

- (47) - محمد دراج : المرجع السابق، ص84.
- (48) - أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص83.
- (49) - **عابد الوادى** : هي صفة لجدهم، وقد ذكر ابن خلدون بأنهم من زناته «ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناته» ينظر ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط/ خليل شحادة، مرا/سهيل زكار، ج7، دار الفكر، بيروت، 2000، ص4.
- (50) - محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلي الاحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979، ص7.
- (51) - ابن خلدون : المقدمة، ص161.
- (52) - جون ب وولف : الجزائر وأوروبا (1500-1830م)، تر/ أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص22.
- (53) - ابن الأحرر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح/ هاني سلامة، دار الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص39.
- (54) - سعيدوني ناصر الدين : تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (798-20هـ/640-1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، 2003، ص339.
- (55) - يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص81.
- (56) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي، مج 03، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، صص141-143.
- (57) - محمد دراج : المرجع السابق، ص86.
- (58) - الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف إفريقيا، تر/ محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص316.
- (59) - عمار بن خروف : العلاقات بين الجزائر والمغرب (921-1069هـ/1517-1659م)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة دمشق 1983، ص20.
- (60) - أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص83.
- (61) - وسمي جدهم بجلاب لامتلاكه الجلب (الغنم)، وهناك رواية أخرى تقول أنه كان يجلب الناس بفضل خيره عليهم لذلك سميت إمارتهم بإمارة بني جلاب، وقد امتد نفوذهم إلى بلاد

الجريد بما فيه منطقة وادي سوف، ينظر: معاذ عمراني : أسرة بني جلاب في منطقة وادي ربيع خلال القرنين 19 و 20م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003، صص 17-19.

(62) – علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ) التاسع عشر(م) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2001/2000، ص15.

(63) – Primaudaie (Elie De La) , **Document Inédits sur l'Histoire du l'Occupation Espagnole en Afrique (1506-1574)** , R.Af , 1876 , V20 , pp128-132.

(64) – تمت هذه المعاهدة بين الملك الزياني محمد الخامس بن محمد الثابتي والإسبان سنة 918هـ/1512م إذ يدفع بموجبها الملك الزياني للحامية الإسبانية المقيمة بوهران ضريبة سنوية قدرها اثنتي عشر ألفا دوقية، أي اثنا عشر مثقالا من الذهب، واثنتي عشر فرسا من أحسن الخيول العربية وستة صقور من الإناث المدربة تدريبا جيدا، فضلا عن تموين الحامية الإسبانية المقيمة بوهران بكل ما تحتاج إليه من المؤن والمواد الغذائية، وظلت هذه المعاهدة مفروضة على الدولة الزيانية طوال فترة حكم محمد الخامس الذي لم يتأخر في تطبيق بنودها حرفيا ودون تردد. ينظر: عبد العزيز فيلاي : **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2007، صص 75-76.

(65) – يحي بوعزيز : **علاقات الجزائر الخارجية...**، ص12.

(66) – محمد أمين عطيلي: **نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية** مذكرة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة غرداية، 2011-2012، ص17.

(67) – أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص69.

(68) – Julien (CH. A) , **Histoire de l'Afrique du nord de la conquête arabe à 1830** , 2^{ème} Edition, Sned , Alger , 1978 , p250.

(69) – أبو القاسم سعد الله : **على خطى المسلمين حراك في التناقض، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، صص 186-187.**

(*****)
فالقرن السادس عشر ميلادي(العاشر هجري) كان قد عرف في تاريخ الشرق والغرب بأنه عصر الصراع الإسباني العثماني في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط .

ينظر، سهيل طقوش : تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، لبنان، 2013 ص11. كما يؤكد مولاي بلحميسي « أن الحقبة التركية في الجزائر [تبقى] مجهولة الجوانب، وتعاني قلة المصادر، رغم اعتناء الأوربيين بهذه الفترة من خلال رحلات مستكشفيهم وقناصلتهم ومغامريهم.» ينظر، بلحميسي مولاي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2 المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص13-14. أمّا فيما يخص تبعية الجزائر للدولة العثمانية فقد حددها المؤرخ التركي محمد شكري، أن تاريخ عودة الوفد الجزائري من استانبول بعام 926هـ/1520م، وهو التاريخ الذي تأسست فيه إيالة الجزائر في إطار التبعية العثمانية أو ما عرف باسم الجزائر العثمانية . ينظر، خليفة إبراهيم حمّاش : العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى سنة 1830 رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1944، ص30.

(70) – فالقرن السادس عشر ميلادي(العاشر هجري) كان قد عرف في تاريخ الشرق والغرب بأنه عصر الصراع الإسباني العثماني في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط . ينظر، سهيل طقوش : تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، لبنان، 2013 ص11. كما يؤكد مولاي بلحميسي « أن الحقبة التركية في الجزائر [تبقى] مجهولة الجوانب، وتعاني قلة المصادر، رغم اعتناء الأوربيين بهذه الفترة من خلال رحلات مستكشفيهم وقناصلتهم ومغامريهم.» ينظر، بلحميسي مولاي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2 المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص13-14. أمّا فيما يخص تبعية الجزائر للدولة العثمانية فقد حددها المؤرخ التركي محمد شكري، أن تاريخ عودة الوفد الجزائري من استانبول بعام 926هـ/1520م، وهو التاريخ الذي تأسست فيه إيالة الجزائر في إطار التبعية العثمانية أو ما عرف باسم الجزائر العثمانية . ينظر، خليفة إبراهيم حمّاش : العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى سنة 1830 رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1944، ص30.

(71) – البنيون : ويعد من القلاع العسكرية التي بناها الإسبان على الصخرة المقابلة لمدينة الجزائر، من قبل المهندس المعماري مارتان دوروتيريا " Martin Dorotirya "، حيث خصصت مبالغ كبيرة لبنائها، وسميت بالبنيون نسبة للصخور الصلبة التي بنيت عليها.

(72) – وصل العثمانيون إلى الجزء الغربي من المتوسط وكان الأخوان بربروسا -ذو اللحية الحمراء- قد سبقا العثمانيين إلى هناك، لقد لجأ المسلمون الجزائريون إليهما طالبين مساعدتهما ضد الخطر الإسباني. ينظر: أندري ريمون: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، تر/لطيف فرج، دار الفكر للنشر والدراسات والتوزيع، القاهرة، 1991، ص21.

- (73) – أبو القاسم سعد الله : أضواء تاريخية (بحوث في التاريخ العربي الإسلامي وشعوب وقوميات)، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005، ص ص481-482.
- (74) – النوبة: وهي الحامية العسكرية العثمانية.
- (76) – ابن المفتي حسين بن رجب شاوش : تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها واعتنى بها : فارس كعوان، بيت الحكمة الجزائر، 2009، ص80.
- (76) – محمد سهيل طقوش : المرجع السابق، ص ص 219-220.
- (77) – مصطفى أحمد بن حموش : فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (956-1246هـ/1549-1830م) ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص22 .
- (78) – أبو القاسم سعد الله : أضواء تاريخية ...، ص485.
- (79) – Valensi (L) : **Le Maghreb avant la prise d'Alger** , Flammarion , Paris , 1962 , p62.
- (80) – حسن أميلي : "مسألة الجهاد البحري بين القرصنة المشروعة ولصوصية البحر"، ضمن كتاب البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، الرباط، 1999، ص ص109-119.